رؤية الزمخشري للغة في أساس البلاغة

د. عليان بن محمد الحازمي
كلية اللغة العربية – جامعة أم القرى
مكة المكرمة

تمهيد:

السـلغة أثمـن وأغلى ما في الوجود ، بها استطاع الإنسان التعرف على ما في الكـون ، فهي الواسطة بينه وبين الكائنات الأخرى. بها تفاهم مع بني جنسه ، وأقام الحضـارات ، وأنشأ المبتكرات التي كانت في بدايتها فكراً تحمله اللغة ، ثم غدا علماً ينتفع به ويطبق.

وجعـل الـلغة تعـبر عـن حياة الناس ، وأداة فكر وتواصل ، لا يتأتى إلا باستعمالها. والمعجم العربي منذ بداياته ، اهتم باللغة ، يرعاها ويتعهد مسيرتها ، يدون ويصحح ، ويستدرك ويوضح.

وأسـاس البلاغة يحتل مكانه مرموقة بين المعاجم العربية. فقد عد الزمخشري مؤسـس المدرسة الألفبائية في المعاجم ، على الرغم من سبق أبي المعالي محمد بن تميم البرمكي بتأليف "المنتهى في اللغة"[1]. لقد بين الزمخشري هدفه في تأليف الأساس ، وهو النظر في التركيب لمعرفة الدلالات التي تنطوي عليه. اتخذ له طريقاً في العرض يتحدث أولاً عـن معنى اللفظ في الحقيقة ، ثم يتبعه بعد ذلك بالمجاز. وهذه الدراسة لا تتعرض للشق الثاني المجاز ، وإنما تحاول أن تتعرف على ما جاء فيما سماه الحقيقة إذ تلاحظ أنه تسـجيل أمين ، ودقيق لحياة اللغة في عصره. فالزمخشري عالم كبير له قدم راسخة في

عـــلوم اللغة، على الرغم مما وجه إليه من انتقادات هي أقرب ما تكون[٢] إلى التحامل دافعها الغيرة.

لقد استوقفتني كثير من الاستعمالات والتعبيرات التي جاءت في معجم الأساس ، فلفظ " برطيل تعني الحجر المستطيل" ذكر الزمخشري أنه يستعمل بمعنى الرشوة يقول " ومنه ألقمه البرطيل وهو الرشوة وأن البراطيل تنصر الأباطيل. وبرطل فلان[٣]: رشى " إن هذه الاستعمالات وغيرها كثير ، نرى أنها محاولة جريئة من الزمخشري بجعل اللغة ربيـــبة الاستعمال ، وليست حبيسة تدوينات المعاجم. فاللغة تنمو بالتداول ، لذا فإن هـــذه الدراســـة تتبع ما جاء من استعمالات لغوية وتعبيرات في أساس البلاغة محاولة إبـــرازها وبيانها على أنها تمثل اللغة المستعملة في عصر الزمخشري وموضحة أن المعاجم العربية لم تغفل عن إعطاء صورة دقيقة للغة كما بدت عند التنصيف.

المعجم العربي في نظر الدارسين:

يـــنظر بعـــض الدارسين إلى المعجم العربي على أنه فقط مجرد قوائم للألفاظ، ـــدون مـــبوبة تشـــرح وتفســـر المعاني متجاهلين أهمية المعاجم في إبراز صورة اللغة واســـتعمالاتها المختلفة . ويرى آخرون ، أن مصنفي المعاجم العربية ، قد وقفوا باللغة عـــند حـــدود زمانية ومكانية ، فلم يهتموا بتدوين اللغة التي كانت جارية على ألسنة الـــناس في عصورهم ، وإنما حصروها في لغة الإعراب ، وقد آل هذا الموقف منهم أن جعـــلوا المعجم العربي بمعزل عن حياة اللغة. فلم يقدموا لنا صورة اللغة الحقيقية كما ... [illegible] التعبير الذي أصاب اللغة في عصورها المختلفة . يقول الطائي منتقداً ابن سيده : " وقد آل على نفسه أن لا يفسح المجال إلا لفصيح اللغة وصحيحها . لا ... أخذ إلا عن الأعراب أو عن الأئمة وباب الاجتهاد والاشتقاق قد أغلق . فإن كـــان ابن سيده أندلسياً فمؤلفه عربي إعرابي ، لا أثر للأندلس ولهجتها"[٤] . ويقول

الدكتور إبراهيم مدكور: " وأبى أصحاب المعاجم إلا أن يقفوا باللغة عند حدود زمانية ومكانية ضيقة فقدت كثيراً من معالم الحياة والتطور".

هـــذه الأقوال والوجهات نقدرها ونحترمها ؛ لأن دافعها الغيرة والحب للعربية ، والرغبة الملحة في دفعها إلى آفاق العالمية. لا سيما وأن اللغة العربية قادرة على استيعاب متطلبات عناصر التجديد في كل عصر مع المحافظة على أصولها. ولكن يتعين أن نعرف:

١. أن المعجـــم العـــربي منذ بداية التأليف فيه كانت له أهداف واضحة وهو ارتباطه بالقـــرآن الكريم فكان لابد أن يسلك المصنفون مناهج معينة تبنى عليها معاجمهم فدونـــوا ألفـــاظ اللغة كما كانت تستعمل وكما سمعوها عن العرب ، ووثقوا ما فســـروا ، وأبى لهـــم أن يزيدوا معاني جديدة لم يسمعوها. فالبواعث التي حدت بالخليل بن أحمد أن يصنف معجم العين هي كما شرحها إبن خلدون " حتى تأدى الفســـاد إلى موضوعات الألفاظ فأستعمل كثير من كلام العرب في غير موضعه عـــندهم ميلاً مع هجنة المستعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس وما ينشأ عنه من الجهـــل بالقرآن والحديث فشمر كثير من أئمة اللسان لذلك وأملوا فيه الدواوين وكان سابق الحلبة في ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي"(٥) ويقول الخليل بن أحمد " فكـــان مدار كلام العرب وألفاظهم فلا تخرج منها عنه شئ" أنه يريد أن يحصى كلام العرب فكان لابد أن يعتمد على التقاليب فيذكر المستعمل والمهمل.

أما [illegible] جمهرة اللغة فقد أراد ابن دريد أن يسهل طريقة العين وأن يدون جمهور اللغة(٦)، كما أن الجوهري وضح أنه يهدف من تأليف الصحاح أن يودع فيه ما صح من هذه اللغة"(٧) وأن يرتبه ترتيباً لم يسبق إليه. أما الظروف التي أوجبت على إبن منظور تصنيف اللسان فهي كما بينها في مقدمة اللسان غلبة العجمي حيث أصبح الناس يتفاصحون بغير العربية وها يكتبون فندب نفسه لجمع ما تفرق بتنسيق الأصول

التي جاءت في المعاجم التي سبقته -- كالتهذيب والمحكم والصحاح وحواشي ابن بري والـــنهاية في غريب الحديث -- لتكون مقرونة بعضها ببعض ليحفظ أصول هذه اللغة ولتصبح كلا واحداً فيكون اللسان " بمترلة الأصل وأولئك بمترلة الفروع "[٨].

هـــذه الأقوال والغايات تجعلنا نكبر ما قام به أصحاب المعاجم ولا نطالبهم بما لم يلزموا أنفسهم به.

٢. المعـــاجم العربية تكمل بعضها بعضاً فالباحث سيجد في الجمهرة ألفاظاً ومعاني لم يتعرض لها الخليل.

وســـيجد في القاموس المحيط ما لم يرد عند الجوهري وليست الاستدراكات التي صنفها العلماء مثل فائت الجمهرة ، وحواشي بن بري[٩] ، والتكملة[١٠] للصاغاني إلا تنـــبيهات وبيانات وتفسيرات وتوضيحات لتكامل المعرفة وبناء أصول العلم. وبـــناء المعرفة لا يتأتى من هذا القبيل يقول الدكتور محمد أبو موسى " إن علماءنا الذيـــن شاركوا في تأسيس العلوم ، كانوا يهتمون اهتماماً واضحاً ببيان الخطوات الـــتي سلكوها في استنباط حقائق العلوم ، وكانوا يزاوجون في إعداد الجيل الذي يخـــلفهم بين أمرين ، الأول تعليم أصول العلم والثاني بيان كيف استخرجت هذه الأصول ، والخطوات التي سلكوها "[١١].

٣. إن ابـــن دريد وغيره من علماء المعاجم كثيراً ما يذكرون بعض الألفاظ مشيرين إليهـــا بقولهـــم مولـــدة ، أو محدثة يقول : إبن دريد " أخ كلمة تقال عند التأوه واحســـبها محدثة "[١٢] ويقول: " السلة المعروفة ليست من كلام العرب التي يجعل فيهـــا الشيء "[١٣] ويقول الأزهري : " لم أسمع في شيء من كلام العرب العاربة الفوط ، ورأيت بالكوفة أزراً مخططة يشتريها الجمالون والخدم فيتزرون بها الواحدة فوطة ، قال فلا أدري أعربي أم لا "[١٤].

٤. أن المناهج التي التزمها أصحاب المعاجم عند التدوين ، خدمت اللغة من أن يصيبها انقســـام إلى لغات مختلفة ، كما حدث للغة اللاتينية التي انقسمت إلى عدة لغات تعـــرف بما يسمى الآن اللغات الرومانية وكما حصل للغة الجرمانية التي أصبحت عدة لغات[١٥] ، كالإنجليزية ، والألمانية والهولندية...

ومـــع هـــذا فإنك تجد المعاجم العربية دونت مستويات متعددة من اللغة المجاز ، الحقيقة ، الدخيل ، المعرب ، المولد ، النادر المستعمل ، المهمل[١٦].

اللغة في نظر الزمخشري:

لم تكن اللغة في رأي الزمخشري حبيسة زمن معين ، تقتصر على استعمال بعينه لا تستعداه. وإنمـــا هـــي في سيرورة دائبة تتجدد معانيها ، وتتعدد دلالاتها ، تبعاً للزمان والمكان. فكان لابد لهذه الأداة أن تساير حاجات الناس فتعبر عن مختلف شؤون حياتهم ، لذا يعد معجمه أساس البلاغة ، أصدق من أعطى صورة لحياة اللغة في عصره. فقد كـــان الزمخشـــري أميناً في تدوين ما كان جارياً على ألسنة المتحدثين من استعمالات وتعبيرات. فاللغة عنده متجددة ، وربيبة الاستعمال ، تتجدد معانيها عن طريق التداول والتواصـــل بين الناس. ومن ثم أجاز كثيراً من الاستعمالات التي هي في حقيقة الأمر توســـع في المعـــاني. لقـــد أكد الزمخشري على إبداعية اللغة، وأنها لا تقف عند دلالة واحدة. وإنما تتعدد المعاني ، فاللفظ يكون غفلاً من المعنى وإنما يتحدد من خلال وضعه في تركيب، فهو الذي يسمو به إلى آفاق بعيدة ، ويجسد الأشياء. إن تحقيق هذه الرؤية جعلت الزمخشري يعتمد على:

١. إبداعيـــة اللغة فمن الألفاظ المحددة تستطيع إنشاء معان جديدة وذلك بفضل طـــريقة " التركيب والتأليف ، وتعريف مدارج الترتيب والترصيف ؛ بسوق

الكـــلمات متناسقة لا مرسلة بدداً ، ومتناظمة لا طرائق قدداً"[17] فالتركيب عنصر فعال في استحداث معان لم تعرف من قبل.

٢. لم يكـــن الزمخشـــري انتقائياً عند جمع مادته اللغوية لمعجم الأساس وإنما أخذ مواده من مختلف فئات المجتمع. " ما سمع من أقوال العرب في بواديها" ما جاء بـــه الخطباء في نواديهم ، ما قاله سماسرة تهامة في الأسواق والمجامع ما تغني به الســـقاة والـــرعاة مـــن أرجاز وحداء عند التزود بالماء. إضافة على ما تخيره الزمخشري من عبارات وتعبيرات جاءت على ألسنة المبدعين[18].

مستويات اللغة:

ذكـــرنا أن الزمخشري بني معجم أساس البلاغة على بيان الحقيقة من المجاز ، والكناية من التصريح. ولكن مع ذلك نجده يشير إلى المعرب ، والدخيل ويذكر ما سمعـــه للغة أهل مكة ، والطائف ، والسراة والقبائل مع تدوين تعبيرات وعبارات تدلـــنا عـــلى اهـــتمامه بالمستويات المختلفة للغة ؛ لأنه أراد أن يؤصل منهجاً في التصنيف المعجمي نوضحها في:

١. تأسيس قواعد يعرف بها الكلام الفصيح والخطاب الفصل.
٢. معرفة الحقيقة من المجاز.
٣. بيان الكناية من التصريح.
٤. الوقوف على مناهج التركيب والتأليف.
٥. تربية الملكة الأدبية وصقل الموهبة حيث يضع أمام أصحاب المواهب معالم اللغة وأسرارها لأن من تمرس وعرف " ما وقع في عبارات المبدعين... وكانت له قبل ذلك كله قريحة صحيحة وسليقة سليمة ، فحل نثره ، وجزل شعره"[19].

إضـــافة إلى ذلـــك أن ما دونه الزمخشري في معجمه يمثل اللغة التي يستعملها

ويتداولها الناس في شؤون الحياة المختلفة وليس أدل على ذلك من قوله في مادة بـــر" لا يعرف هراً من بر"وقوله نظر من صبر الباب أي من شقه وقوله يقال للجائع صاحت عصافير بطنه[٢].

وقوـــله ضـــربوا الفـــازات أي الفساطيط. وخرج الأمير وبين يديه الرجالة والزجالة[٢١].

لغة أهل مكة وما جاورهم:

لقـــد أحب الزمخشري مكة وأقام بها مرتين جاور بيت الله الحرام وألف فيها مؤلفات أشهرها تفسير الكشاف. ورحل إلى كثير من بوادي مكة والمناطق المجاورة لهـــا كالطـــائف[٢٢] فكـــانت له سماعات كثيرة للغة أهل مكة ومن يفد إليها من العرب. ذكر بعضاً منها في الكشاف يقول عند تفسيره لقوله تعالى: (ونصرناه من القـــوم الذين كذبوا) وسمعت هذلياً يدعو على سارق اللهم أنصر منه أي أجعلهم منتصـــرين منه[٢٣]. ويذكر "سمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حيث يغلق الـــناس أبوابهم ويأوون إلى مقائلهم تقول عيينتي نويظرة إلى الله وإليكم"[٢٤]. أما معجم أساس البلاغة فقد حفظ لنا من لغة مكة ما يأتي:

طريت البناء : طينته.

الطنف:	جدير حول السطح.
ولد الرانج:	المقل جوز الهند.
لا عهدة:	لا تبعة منها علي[٢٥].
الدقة:	الملح المبزر.
يوم القر:	يوم الرؤوس لأنهم يأكلون فيه رؤوس الأضاحي.
القثاء العثري:	الذي لم يسق بماء وإنما نبت من ماء المطر.

يا متوه يا مروع : من شتائمهم.
أين ربيت يا صبي: بوزن رضيت.
عكشتك : سبقتك.
أعيريني تويرتك: التويرة إناء صغير[٢٦].
عرد البعير: انحرف وبعد.
لفلان أصيلة: أرض تليدة يعيش بها.

ويقــول وقف علي شيخ من أهل السراة في المسجد الحرام فقال لي: ما عضبك وسمعــتهم " أهــل مكــة" يقولون: السراج يطلب أن ينطفي ويبغى أن يطفأ[٢٧] وسمعــت هذليــاً يقول غثت علينا مكة فلابد من الخروج وسمعت ثقفياً وهذلياً يتزامــلون أي يقولون رجزاً ، هذه السماعات تقفنا على واقع اللغة التي في معجم الأســاس ، وتؤكــد ما ذهبنا إليه من أن المعجميين العرب لم يتغافلوا عن تدوين ملامح اللغة في عصورهم.

إبداعيات اللغة:

التركيب:

ذكــرنا فيما سبق أن الزمخشري اهتم بإبداعية اللغة ، وتجدد معانيها. وإبداعية اللغة تأتي من أمور كثيرة[٢٨] ، لا نريد هنا أن نناقشها ، وإنما نوضح في هذا المقام ثلاثة أمور نرى أنها من مسببات تجدد معاني الألفاظ وهي: التركيب ، التعبيرات ، التوسع في الاشتقاق. ولا نعني بالتركيب هنا إنشاء الجمل وإنما تركيب لفظين مثل كبير القوم ، ابن بجدها ، نافخ الكير. أما التعبيرات فالأمر فيها غير ذلك فغالباً ما

يكون التعبير جملة كما في قوله تعالى: " فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها) [٢٩] ، أو ضرب كفاً بكف ، يقدم رجلاً ويؤخر الأخرى.

ما صدر بأب أو أم:

احتفظ معجم أساس البلاغة بألفاظ مركبة ، صدرت بأب أو أم أو ابن دلت على معان جديدة. والتركيب المصدر بأب أو أم أو ابن عنصر قديم في استحداث الألفـــاظ في اللغة العربية ، جاء في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف وفي كلام العرب. وقد صنف النحاة ما صدر بأب أو أم أنه يدل على كنية. قال عز وجل: (... ولتـــنذر أم القـــرى ومن حولها) وقال تعالى : (منه آيات محكمات هن أم الكتاب) [٣٠].

وجاء في الحديث الشريف أم الخبائث الخمر.

وأستعمل العرب ألفاظاً لأسماء بعض الحيوانات مثل أبو الحصين للثعلب وأم عامر للضبع وابن آوي.

وفيما يلي ندرج ما جاء من هذه الألفاظ عند الزمخشري:

أبو الأضياف:	لمن يكرم الضيوف.
أبو الرؤيس:	لكبير الرأس.
أبو العمامة:	لكبير العمامة.
أبو براقش:	للمتلون[٣١].
أم مثواك:	الدماغ.
أم النجوم:	المجرة.
أم الدماغ:	الجلدة التي تجمع الدماغ.

أم حبين: دوبية[٣٢].

ما صدر بابن:

ابن أحذار: للحذر.

ابن أديم: للدلو.

ابن بجدتها: للمجرب.

ابن البلد وأبن البليدة: الحرباء.

ابن الثأداء: ابن الأمة إذا استضعف رأيه.

ابن جلا: للرجل المشهور.

ابن ذكاء: الصبح.

ابن الرطبة: ابن الفاجرة.

ابن ليلها: صاحب الأمر الكبير.

ابن المسرة: الريحان.

ابن طامر: البرغوث.

ابن الطود: الجلمود الصدى.

ابن الطيلسان: الأعجمي[٣٣].

ابن أقوال: للكلامي.

ابن المزنة: الهلال.

ما صدر ببنات:

بنات بئس: الدواهي.

بنات برح: الشدائد والأهوال.

بنات أخدر: حمر الوحش.

بنات الدو:	حمر الوحش.
بنات الدهر:	نوائبه.
بنات السحابة:	البرد.
بنات المسند:	النوائب.
بنات شحاح:	البغال.
بنات الصدر:	الهموم.
بنات صعده:	حمر الوحش.
بنات صهال:	الخيل.
بنات طارق:	بنات الملوك.
بنات غير:	الأكاذيب.
بنات فكري[٣٤]:	
بنات الليل:	النساء.
بنات المثال:	النساء " المثال الفراش".
بنات الماء:	الغرانيق.
بنات المعى:	البصر.
بنات النقا:	اليساريع " النقا الرمل ، اليساريع دويبة".

التعبيرات:

أحتوى معجم أساس البلاغة على كم كبير من التعبيرات التي نحسبها مرآة للغة العربية المستعملة في القرنين الخامس والسادس الهجريين. " ونعني بها تلك العبارات التي لا يفهم معناها الكلي بمجرد فهم معاني مفرداتها ، وضم هذه المفردات بعضها على بعض"[٣٥]. ويطلق عليها في اللغة الإنجليزية Idioms هذه التعبيرات لا تخلو

مــنها أي لغة من لغات البشر[٣٦]. كما أنها شاهد على واقع اللغة عبر تاريخها ، لأنهــا تمــس جوانب حياتهم ، وفيها من التلميح ، والرمز ، ما يجعلها قابلة لتعدد المعاني. فقول الزمخشري " لا يعرف هرا من بر"[٣٧] نرى أنها يمكن أن تفسر ب (لا يميز بين الأشياء" أو لا يعرف كيف يتعامل مع الناس. والتعبيرات التي جاءت في أساس البلاغة فسر الزمخشري بعضها ، وأغفل بعضها الآخر. وإليك بعض ما جاء من هذه التعبيرات ومعانيها.

ما جاء مفسراً:

التبطح خير من التبطخ: التزول بمكة خير منه بخوارزم.

كان تواً فأصبح زواً: أي زوجاً معه آخر ويمكن أن نفسره أصبح له أنصار ومؤيدون.

فلان يتوسد أذرع بنات الليل: المنى- ويمكن أن تفسر يحلم[٣٨].

مالك هللا سبهللا: أي مخلى فارغاً.

هم في هياط ومياط: في اضطراب ومجيء وذهاب.

تعبيرات لم تفسر:

فلان لا يعرف البواقيل من الشواقيل: لا يميز بين الأشياء.

فلان يستتك بالحرير: مترف منعم.

هو حلّ بلّ: برئ ، لا يؤاخذ.

فلان إن رأي مطمعاً تعرض وإن أصاب مطمعاً تأرض: ينتهز الفرص.

على مع الحال المضيرة خير من معاوية مع المضيرة: الفقر مع من تحب خير من الغني مع من لا تحب.

تزحر فلان حتى تسحر ثم قرع سنة وتحسر: أجهد نفسه و لم يأت بجديد/ ندم.
عنده من الثياب أضابير ومن الطعام أنابير: عنده الكثير، يملك شيئاً ولا ينتفع به.
طرقته في السنة الخصاصة فما رقعني بذنب البصاصة : تجاهلني ، جئت وقت الحاجة فلم يساعدني.
جئ به من حسك وبسك: بجهدك وطاقتك(٣٩).

إن مـا ذكـر يمثل طائفة من التعبيرات دونها الزمخشري كما سمعها من قبل المـتحدثين وكمـا تستعمل دونما أي تخطئة لها، أو وصفها بأنها أساليب ليست بفصـيحة. لقـد كـان بعمله هذا رائداً في إعطاء صورة حقيقية للغة في القرنين الخامس والسادس الهجريين.

كما أن ما ذكرناه هنا من التعبيرات يمثل جزءاً بسيطاً مما هو موجود في المعجم فهـناك طائفـة كبيرة من التعبيرات ومن الأمثال والأقوال والكنايات والمجازات تستحق دراسة منفردة لما تحمله من دلالات ولما تتميز به تراكيبها من إختلاف.

التوسع في الاشتقاق:

للاشـتقاق دور كبير في إثراء اللغة وإمدادها بالألفاظ ولقد أورد الزمخشري كثيراً من الألفاظ المشتقة من أسماء الأعيان وهذا يدل على عقلية ترى أن الاشتقاق يـأتي مـن جميع ألفاظ اللغة سواء كان اسماً أو فعلاً أو حرفاً بلا تمييز أو شروط ويلحظ أن غالبية ما جاء في أساس البلاغة من الاشتقاق أفعال.

أبوت فلاناً وأمته: كنت له أباً وأماً.
برذن الجواد: صيره برذوناً.
سألته حاجة فبرذن عنها: أي ثقل.
بزر برمتك: ألق فيها الأبزاز.

بصر: ذهب إلى البصرة.

بعضوه تبعيضاً: فرقوه[٤٠].

أبعض القوم: كثر في أرضهم البعوض.

بلط داره: فرشها بصخر أو أجر.

تبوب فلان: أتخذ بواباً.

بوب المصنف كتابه وكتاب مبوب.

تبصل الشئ: إذا تضاعف قشر البصلة.

تمرني فلان: أطعمني التمر.

تثألل جسده: خرجت به الثآليل.

توبل قدره: ألقى فيها التوابل.

جوقت القوم: جمعتهم.

تجوق فلان: جمع جوقاً من الناس.

كوف: ذهب إلى الكوفة.

خرجوا يتكمؤون: يجنون الكمأة.

تكمأتا في أرض بني فلان.

أكتاز الماء: إغترفه بالكوز[٤١].

أمأت الدراهم: وفت مأئة.

ياومت الأجير مياومة: اتفقت معه على الأجرة تعطي يومياً.

التوسع في الاستشهاد:

دأب علماء المعاجم العربية على توثيق ما يفسرون من معاني الألفاظ بالاستشهاد بالقرآن الكريم ، والحديث الشريف وأقوال العرب شعراً ونثراً. وقد حددوا منتصف القرن الثاني لمن يستشهد بأشعارهم.

أما بعد هذه الفترة الزمنية ، فمولدون لا ترقى أقوالهم أن تكون موضع استشهاد لكن الزمخشري لم يلتزم بهذا المنهج ، فقد ضم معجمه أشعاراً ، وأرجازاً وأقوالاً لمتأخرين. فقد استشهد بشعر كثير من المولدين ، يقول مبيناً رأيه بعد أن استشهد بشعر أبي تمام " وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة فهو عالم من علماء اللغة ، فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه[٤٢] ألا ترى إلى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه" يقول د. محمد عيد " والزمخشري من علماء اللغة المتأخرين الذين عاشوا في القرن السادس، وحين ذكر هذه الفكرة ، ملخصة في هذه العبارة خالف ما كان عرفاً متوارثاً من قبل من أنه لا يحتج بكلام المولدين ولا المحدثين ، علماء ، أو غير علماء ، رواة أو غير رواة". ويقول وأنشدني سلامة بن عياش الينبعي بمكة يوم الصدر.

فبت مزفزفاً قد انشبتني   رسيسة ورد بينهم أحاحاً[٤٣]

بل أن التعبيرات والأقوال والأمثال التي يزخر بها أساس البلاغة والتي لم ينسبها إلى قائليها كما يقول[٤٤] د. حسين نصار تمثل في رأينا اللغة التي كانت جارية على ألسنة الناس في عهد الزمخشري ولعل الألفاظ الآتية تؤكد ما نذهب إليه.

يباسطني:	يسرني
البرادة:	إناء يبرد فيه الماء.
تبوج البرق:	لمع وتكشف.
الطياجين:	جمع طاجن المقلاة.

القناحة:	خشبة يرفع بها الباب.
الكرينة:	المغنية.
الكران:	العود " آلة الطرب".
الليفة:	مصنوعة من الليف يحك بها الجسم عند الإغتسال.
يوح:	الشمس.
هو من المطوعة:	الذين يتطوعون بالجهاد.
طتر:	سخر.

إن الزمخشري بتوسيع قاعدة الاستشهاد ، وإشاراته وتدوينه لاستعمالات الفئات المتعددة ، خاصة وعامة ممثلة بما نجده من ألفاظ وتعبيرات ، وأسجاع وأرجاز ، وأمثال يمثل — في رأينا — ما ينبغي أن يتجه إليه المعجميون عند تصنيف المعاجم.

فالمعجم كما يراه دوزي "معجماً يعرفنا بوضوح ودقة ، كلما طلبنا فيه المعنى الدقيق لأي لفظ في أصل استعماله بمختلف الدلالات المستحدثة التي طرأت عليه في جزيرة العرب وبلاد فارس والشام"(٤٥) . وخلاصة القول:

١. أن تصور الزمخشري للغة لا يمكن أن يقف بها عند زمن معين وإنما هي في سيرورة دائمة تتجدد معانيها بتجدد الاستعمالات واختلاف التراكيب.
٢. التأكيد على إبداعية ألفاظ اللغة وأنها لا تقف عند دلالة واحدة وإنما تتعدد الدلالات من خلال السياق والاستعمال فهما اللذان يحددان معاني الألفاظ.
٣. المادة اللغوية والتعبيرات التي جاءت في معجم أساس البلاغة تصوران بوضوح حال اللغة العربية في القرنين الخامس والسادس الهجريين.
٤. لقد رسم الزمخشري صورة لما ينبغي أن يكون عليه المعجم وذلك بأن تكون مواده مأخوذة من مختلف فئات المجتمع.

٥. لا تدعي هذه الدراسة أنها أحاطت بكل دقائق ما في أساس البلاغة ولكن حسبها أنها حاولت إبراز رؤية الزمخشري اللغوية.

الحواشي والتعليقات

1. الصحاح ومدارس المعجمات العربية ص ١١٢ ، ١٢٩.
2. تفسير البحر المحيط ، الجزء الثامن ، أبو حيان ص ٣٦١.
3. أساس البلاغة ص٣٦.
4. المخصص لابن سيده دراسة — دليل ص٣٢.
5. المعجم الوسيط ج١ ص٥.
6. مقدمة العلامة ابن خلدون ص ٥٤٨.
7. كتاب العين ص٤٧.
8. جمهرة اللغة الجزء الأول ص ٣،٤.
9. الصحاح المجلد الأول ص٣٣.
10. اللسان المجلد الأول ص ٣ ، ٤.
11. أنظر كتاب التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح.
12. مناهج علمائنا في بناء المعرفة ص ١٨٦ محاضرات الموسم الثقافي لكلية اللغة العربية ١٤٢٠هـ.
13. جمهرة اللغة الجزء الأول ص١٥.
14. جمهرة اللغة الجزء الثالث ص٥١.
15. تهذيب اللغة الجزء ١٤ ص٣٧.
16. علم اللغة د. علي عبد الواحد وافي ص ١٩٥ ، ١٩٦.
17. المزهر في علوم اللغة وأنواعها عبد الرحمن السيوطي الجزء الأول ص ٢١٤ ، ٢٤٠، ٢٦٨ ، ٢٣٤ ، ٣٠٤.
18. أساس البلاغة ص٨.
19. أساس البلاغة ص٧.
20. أساس البلاغة ص٨.
21. أساس البلاغة ص ٣٦ ، ٣٦٨ ، ٤٢٢.
22. أساس البلاغة ص ٢٦٧ ، ٤٨٤.

٢٣. منهج الزمخشري في تفسير القرآن ، مصطفى الصاوي الجويني
ص ٥٦ ، ٥٧.
٢٤. الكشاف ج٢ ص ٥٧٩.
٢٥. الكشاف ج٤ ص١٩٢.
٢٦. أساس البلاغة ص ١٩١ ، ٢٥٤ ، ٣٨٩ ، ٣٩٧، ٤٤١.
٢٧. أساس البلاغة ص ٦٥/١٧ ، ٦٦ ، ١٦٥ ، ٢١٩ ، ٤١٣ ، ٤٣١.
٢٨. أساس البلاغة ص ٢٧٥ ، ٣٩٣ ، ٤٣٢ ، ٤٤٥.
٢٩. أنظر .N. Chomsky, Aspects of the Theory of Syntax p
٣٠. الكهف ، آية ٤٢.
٣١. الأنعام ، آية ٩٢ ، آل عمران ، آية ٦.
٣٢. أساس البلاغة ص ١٠ ، ٣٧ وجاء أبو الحرب مهيجها ، أبو عذرتها لمفتضها. أنظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٧ للراغب الأصفهاني.
٣٣. أساس البلاغة ص ٢١ ، ١١١.
٣٤. أساس البلاغة ص ٥٢ ، ٥٣، ٦٨ ، ٢٣٦ ، ٣٩٣، ٣٩٥، ٣٩٧.
٣٥. أساس البلاغة ص ٥٢ ، ٥٣.
٣٦. علم الدلالة ص ٣٣ د. احمد مختار عمر.
٣٧. المعجم العربي نشأته وتطوره ص ٧٠٥ د. حسين نصار.
٣٨. أساس البلاغة ص ٣٦.
٣٩. أساس البلاغة ص ٤٢ ، ٥٣، ٥٦ ، ٦٦ ، ٧٠٩.
٤٠. أساس البلاغة ص ١٤ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٧، ٥٠ـــ، ٦٣، ٢٦٧ ، ٥٩٧ ، ٦١٤.
٤١. أساس البلاغة ص١٠ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٥٣.
٤٢. أساس البلاغة ص ٤١ ، ٦٤ ، ٦٠ ، ٦٩ ، ١٠٥ ، ٥٥٠ ، ٥٥٣ ، ٥٨٠.

المصادر والمراجع:

العربية:

- أساس البلاغة : جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، بيروت 1385 هـ- 1965م.
- تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق عبد السلام هارون وآخرين ، القاهرة ، 1964م –1967م.
- جمهرة اللغة ، أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ، تحيقيق كرنكو حيدر أباد الدكن الهند ، 1344هـ.
- دراسات في العجم العربي ، إبراهيم بن مراد ، بيروت 1978م.
- الرواية والإستشهاد باللغة ، د. محمد عيد ، القاهرة 1976م.
- الصحاح – تاج اللغة وصحاح العربية ، غسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، 1376هأ –1956م.
- الصحاح ومدارس المعجمات العربية ، أحمد عبد الغفور عطار ، بيوت ، 1386هـ-1967م.
- علم الدلالة ، د. أحمد مختار عمر ، القاهرة ، 1988م.
- علم اللغة ، د. علي عبد الواحد وافي ، القاهرة ، الطبعة السابعة.
- كتاب التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح ، أبي محمد عبد الله بن بري المصري تحقيق مصطفى حجازي ، القاهرة 1980م.
- كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق د. مهدي المخزومي ، د. إبراهيم ، السامرائي بغداد 1400هـ-1980م.

- الكشاف ، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، بيروت.
- لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ابن منظور ، طبعة بولاق.
- المخصص ، لابن سيده ، دراسة — دليل محمد الطالبي ، تونس 1956م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين.
- المستقصى في أمثال العرب ، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، بيروت 1397هـ - 1977م.
- المعجم العربي نشأته وتطوره ، د. حسين نصار ، القاهرة ، 1956م.
- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، المكتبة العلمية ، طهران.
- مفردات الفاظ القرآن ، أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني ، بيروت.
- مقدمة الصحاح ، أحمد عبد الغفور عطار ، القاهرة 1376هـ-1956م.
- مقدمة العلامة ابن خلدوم ، عبد الرحمن بن خلدون ، المكتبة التجارية ، القاهرة.
- منهج الزمخشري في تفسير القرآن ، مصطفى الصادق الجويني ، دار المعارف ، مصر.

الدوريات:

- محاضرات الموسم الثقافي لكلية اللغة العربية 1420هـ.

المراجع الأجنبية:

-N. Chomsky, Aspect of the Theory of Syntax. Cambridge.
-J. Lyons. Shomsky. Fontana Collins.